**جمهورية العراق / بغداد / الجامعة المستنصريَّة / كليَّة الآداب**

**قسم اللغة العربيِّة / الأدب الأندلسي / أُستاذ المادة أ.م.د قصي عدنان الحسيني**

**المرحلة الثَّالثة/ مسائي/.....1436ـ1437هـ /2015ــ 2016م**

**الشِّعر النِّسوي في الأندلس "نماذج مختارة"**

قال أحد المعنيين بتاريخ الأدب الأندلسي من المؤلفين المعاصرين [[1]](#footnote-1): " ولا أعلم كيف غفل متأدبو الأندلس ومؤلفوهم عن استقصاء شعر نسائهم، والعناية بتقييده"[[2]](#footnote-2). ويقول د. تركي العزاوي –بثقة- : إنهم لم يغفلوا، وإنما تغافلوا الاهتمام بالمرأة خاصة، وبنتاجها الأدبي، شعراً كان أم نثراً بصورة أخصّ، وذلك قصداً منهم وعمداً مع سبق الإصرار، مع أنهم كانوا يسمُّون ولَّادة بنت المستكفي : عُلَيَّة الأندلس، وحمدة بنت زياد خنساء العرب، ولا يذكرون لكلتيهما إلَّا القليل المحدود من الشِّعر لمناسبة أو حادثة، وقد لا يكون هذا من أحسن ما تركته الشاعرة بل قد يكون من أردئ ما قالته. في الوقت الذي أرخوا لابن هاني المغربي (الأندلسي)، وسمُّوه: متنبِّي المغرب، وابن خفاجة الأندلسي صنوبريّ الأندلس، فذكروا لهما ما حلى وطاب من شعرهما بأكمله دون إخفاء أي شيءٍ منه. والغريب في الشعر القليل والمحدود المنقول عن شواعر الأندلس كان يتناقله مصنف الاندلس بعض عن بعض، فلا نجد تبسطاً في النقل، ولا توسعاً في البحث عن اشعار النساء كأن (خنساء المغرب) لم تقلْ اكثر من بضعة عشر بيتاً من الشعر، جلّه من النَّوع الذي هو عبارة عن مداعبات ومطارحات، وهل عجزت (عُليَّة الأندلس) عن أن تترك لنا اكثر من عشرين بيتاً يشك في نسبة البعض منها الى غيرها[[3]](#footnote-3)؟.

ويضيف .د تركي العزاوي: أنهم لم يغفلوا، وانما تغافلوا؛ لأنَّ الشعر العربي النسائي- على حدِّ قول مؤلف معاصر آخر- وأنا اصطفّ الى جانبه- : "مهضوم الحق، مهيض[[4]](#footnote-4)، أهمله المؤرخون والعلماء فأضاعته الأزمان وأضاعت معه أسماء كثيرات من الشَّواعر، ولو أنَّ أشعار بعضهن جاءت عرضاً في بعض كتب التراث، لطمس على اسمائهن كما طمس على آثارهن، كل ذلك بسبب أثرة الرجل وأنانيته، واستئثاره وحده بكل الأمور لكان الزمن قد حكم على المرأة بالظلم في كل شيء، حتى في الشعر والادب[[5]](#footnote-5)، الامر الذي أدى الى اعتقاد البعض من المشتغلين بالدراسات الأدبية الأندلسية – بعدم جدوى التاريخ العام للأدب الأندلسي في الوقت الحاضر، ذلك لندرة النصوص، خاصة ما يتصل منها بالفترات الاولى للوجود العربي الاسلامي في الأندلس، وذلك لكثرة ما ضاع من تراث المسلمين هناك، اضف الى ذلك ما أتت عليه ايدي التخريب والإبادة من المسلمين والمسيحين على حد سواء بعد تسليم غرناطة سنة (897هـ/1492م).

الحق أقول ان اسباب طمس الشعر النسوي العربي في عصر ما قبل الاسلام، والعصور التالية في المشرق العربي ومغربه- كثيرة، منها ما سبق ذكره، ومنها سبب آخر على ما يبدو عزوف مؤرخي الادب العربي ومصنفيه، وهم كثر ولا حصر لهم، خذ- اخي القارئ- امثلة نموذجية على ذلك فراجع الكتاب الادبي الشهير "طبقات الشعراء" لابن المعتز ت 247هـ ، الذي ترجم فيه لعدد كبير من الشعراء، ولم يذكر بينهم سوى ثلاث شاعرات فقط هم: عائشة العثمانية، وخنساء الجارية، وعُريب جارية المأمون، وانظر " الشعر والشعراء" لابن قتيبة ت 276هـ، بجزأيه الاول والثاني تجده قد ترجم لـ (204) مئتين واربعة من الشعراء، ولشاعرتين فقط، هما: خنساء بنت عمرو، وليلى الأخيلية، ثم انظر: "العِقْد الفريد" ذا الاجزاء السبعة لابن عبد ربه الأندلسي ت 328 هـ ، **فستجده خالياً تماماً من اية شاعرة من شواعر الأندلس** !

وها آنذا- بعد الاتكال على الله سعيت في البحث عن اسماء ما تيسر من تراث شواعر الاندلس، فكانت حصيلة البحث- حتى الان- زهاء الاربعين شاعرة اندلسية، وتفاوت مقدار ما وصلنا من اشعارهن بين اللاشيء والبيتين الى حوالي العشرين بيتاً عدا ولَّادة بنت المستكفي التي وصلنا من شعرها الكثير الكثير، وقد سبقني ان ترجم جلال الدِّين السُّيوطي ت 911هـ ، في كتابه "نزهة الجلساء في اشعار النساء" لأربع عشرة شاعرة اندلسية من مجموع تراجم الكتاب البالغة اربعين شاعرة من شواعر العرب (المولدات)، وعرض لهن نماذج جيدة خالدة من اشعارهن، مع ذكر طائفة من اخبارهن. وقد أحصى محمد المنتصر الريسوني في كتابه "الشعر النسوي في الاندلس" خمساً وعشرين شاعرة اندلسية موزعة على مختلف عصور الادب الاندلسي، وأحصى الباحث سعد بوفلاقة في كتابه "الشِّعر النِّسوي في الاندلس أغراضه وخصائصه"[[6]](#footnote-6) سبعاً وعشرين شاعرة.

ويضيف د. العزَّاوي برغبة جامحة اندفعت فأحصيت ثلاثاً واربعين شاعرة اندلسية لكن – للاسف الشديد- كانت اخبار جُلهنَّ نزرة ومتناثرة في بطون الكتب، حتى ان بعض الشواعر نُسِيَتْ اسمائهن، وبقيت نعوتهنَّ؛ كالعجفاء، وألقابهنَّ؛ كالشَّابية، والعروضية، واسماءهن الاولى؛ كقمر، ولُبْنَى، وهند، وليلى.

وقد وصل لبعضهنَّ البيت او البيتين؛ كالعبادية جارية المعتضد واعتماد الروميكية زوج المعتمد التي لم يصل إلينا من شعرها سوى شطر من بيت حينما أجازت قول المعتمد:

صنعَ الريحُ مِن المــــــــــاءِ زَرَدْ

فقالت:

أيُّ دِرعٍ لِقِتـــــــــــالٍ لـــــو جَمَــــــــدْ

ومنهن من لم يصل إلينا من تراثها الشعري شيء يذكر؛ كَلُبْنى كاتبة الحكم بن عبد الرَّحمن التي كانت حاذقة بالكتابة ونحوية، وشاعرة !

فمما تقدم يتَّضح لنا ان ما وصل إلينا من اخبار وشعر نساء الاندلس يمكن ان نعده شاهداً على طبيعة ظروف المرأة الاندلسية، وشخصيتها، وطباعها، ولابد من الافتراض ان الكثير من النتاج الابداعي للشواعر الاندلسيات لم يصل الينا بفعل ما اصاب التراث الاندلسي من تدمير وضياع اضافة الى تحرج البعض من مؤرخي الادب الاندلسي من ذكر اشعار اولئك النساء، ومما يشير الى ذلك الحرج: قول ابن بسام الشنتريني في كتابه "الذخيرة" وهو يتحدث عن شعر ولَّادة بن المستكفي[[7]](#footnote-7): "وقد قرأتث أشياءً منه في بعض التعاليق اضربت عن ذكره، وطويته بأسره؛ لأنَّ اكثره هاء وليس له إعادة ولا إبداء، ولا من كتابي في أرض ولا سماء"[[8]](#footnote-8).

فقول ابن بسام هذا مؤشر جيد على ضياع كثير من أشعار شواعر الاندلس، وعدم وصولها الينا، بالرغم من ضعف حجته، وغير مقنعة؛ ذلك لان الاغراض الشعرية التي طرقت من قبل شواعر الاندلس لم تكن في الهجاء الفاحش فقط، وانما في: المدح، والشكوى، والتهنئة، والحنين الى الاوطان، والدين، والفخر، ووصف الخمر، والغزل بالرجال، والرثاء، ووصف الطبيعة، واغراض اخرى؛ كالمجاوبات، والشكر على الهدايا والشكوى من الشيء او العنوسة، وغير ذلك.

**الأميرة بُثينة**

**بنت المُعْتَمد ملك إشبيليا**

هي بثينة بنت المعتمد بن عبَّاد، الأميرة التي شهدت مباهج ملك أبيها كبير ملوك الطوائف، وكبير الشعراء الملوك، وبطل الابطال في معركة الزلاقة، والاسير بأغمات. وأمِّها الرُّميكية، وكانت بثينة هذه مثل أمِّها في الجمال والنادرة ونظم الشعر، ولما احيط بابيها، وانتهبت امواله، حرمة قصره، وقعت بثينة اسيرة في جملة من أُسِر وسُبِيَ، فصار أبواها عليها في حزن ووجل، لا يعلمان ما حلَّ بها الى انْ كتبت اليهما بالشعر المعروف لدى الناس بالمغرب. وبيعت بثينة الى تاجر إشبيلي على أنَّها جارية سريَّة، فوهبها الى احد ابنائه، وما ان هم بالدخول عليها، امتنعت واعلنت حقيقة امرها ونسبها، وقالت له: "لا احل لك الا بعقد النكاح على ان يرضى والدي بذلك، واشارت عليه وابيه بتوجيه خطاب من قبلها الى ابيها، وانتظار الجواب، فكتبت بخط يدها من نظمها. وكان هم ابويها لفقدها اسوأ عليهما من زوال الملك، فقد كانا متعلقين بها تعلقا شديدا. وافق الشاب وابوه على رأي بثينة، فكتبت خطابا فريدا من نوعه؛ اذ ضمنت خطابها قصة سبيها كاملة في اطار من الفطنة والسداد، وصاغت منه قصيدة مطرزة بحكمة ذوي الالباب، وكانت في عمر ازهار الربيع، وهي الاسيرة المغلوبة على امرها، فكان الذي كتبته بخطها من نظمها:

اسمعْ كلاميَ واستمعْ لمقالتِي فهيَ السُّلوكُ بدتْ مِنَ الأجْيادِ

لا تُنْكِــــرُوا أنَّــي سُـبِيتُ وأنَّنِــي بـِنْتٌ لِمَلْكٍ مـــــن بنـــــي عَبـــــــَّـــادِ

ملكٍ عظيمٍ قَدْ تولَّى عَصْرُهُ وكـــــذا الـــــزَّمانُ يــــؤولُ للإفســادِ

لمَّـــــا أرادَ اللهُ فـــُــــرْقَةَ شَــــمْلنا وأذَاقَنـــــا طَعْمَ الأســـــى مــــن زَادِ

قامَ النِّفاقُ على أبي في مُلْكِهِ فَدَنَـــــا الفِــــراقُ ولـــَـْـم يَكُنْ بمـــرادِ

فخرجتُ هاربةً فَحَازَنِي امْرُؤٌ لـَـمْ يَــأْتِ فــــي إعْجَالِــــهِ بســـــدَادِ

إذْ باعَنِي بيعَ العبيدِ فضمَّني مَــنْ صـــانَنِي إلَّا مـــــن الأنـْكَادِ

وأرادَنِـــي لِزواجِ نـــــجلٍ طاهــــرٍ حَسَنِ الخَلائِقِ مِنْ بَنِي الأنْجَادِ

وَمَضَى إليك يَسُومُ رأْيَكَ في الرِّضَا ولأنتَ تَنْظُرُ فـــي طـــَــريقِ رَشَادِي

فعســــاكَ يـــا أبتي تُعَرِّفُنِي بِهِ إنْ كــــــان مِمَّـنْ يُرْتَجَى لِـــــودَادِ

وعَسَى رَمِيكِيَةُ المُلوكِ بِفَضْلِها تــــَدْعُو لَنَـــــا بالـــــيُمْنِ والإسـْـــعادِ

ولمَّا وصلت قصيدتها هذه إلى أبيها، وهو في سجنه بأغمات[[9]](#footnote-9) يرزح تحت نير الكروب والازمات، سُرَّ هو وامها بحياتها، فأشهد على نفسه بعقد نكاحها من ذلك الشَّاب النَّجيب، وكتب أبوها إليها ما يدل على حسن صبره ، كما وردت في الذخيرة لابن بسَّام ت 542هـ :

بُنَيَتِي كُونِي به بَرَّه فقد قضى الدَّهر بإسعافِهِ

وهذا ما ذكره المقري [[10]](#footnote-10) ومصطفى الشكعة من المراجع المحدثة الذي علق عليها

مبادرة السَّبية الأميرة بثينة: "ان الاميرة الصغيرة الغريرة كانت من الفطنة بحيث اقنعت الفتى وأباه بالانتظار، فكانت من الاعتراف بالجميل بحيث حَسَّنت لأبيها الموافقة على الزَّواج، وكانت من الكبرياء بحيث لم تنس نَّها أميرة وابنة ملك، وكانت من الواقعية بحيث ارتضت حكم القدر في مصيرها، وكانت أخيراً من الشاعرية والصفاء بحيث دبَّجت بيراعها الرَّقيقة قصَّة واقعية من أكثر القصص في التاريخ أسىً وأخذاً بمجامع الأحاسيس والخواطر فكانت هذه القصَّة الشَّاعرة في اطارها المؤثِّر العميق، واسلوبها المؤثِّر الرَّقيق، ووافق أبوها على زواجها، واعتبرها هدية القدر الثَّمينة إلى الفتى الرَّشيد وأبيه الماجد، وكتب لها موافقة استهلها بما يستهل به الأب العاقل نصائحه لابنته الاميرة الاثيرة المقبلة على الزواج 10.

وهناك جملة من آراء الباحثين بهذا الصَّدد بعد مناقشة ما ورد في خبر الذخيرة :

قال **الأستاذ صلاح جرار** مُبْدِياً إعجابه بإباء بثينة وشَمَمِها: "... ويروى عن بثينة بنت المعتمد بن عباد: "أنها سبيت لما حلت النكبة بأبيها، وأخذه المرابطون أسيراً إلى سجن أغمات بمراكش، فأصبحت من جملة العبيد تباع في الاسواق، فاشتراها رجل من إشبيلية، ثم وهبها لابنه، ولكنه لما أراد الزواج منها، امتنعت، وأعلنت عن نفسها، قالت له: لا يكون ذلك إلا بموافقة أبي، ثم كتبت إلى أبيها"[[11]](#footnote-11) القصيدة آنفة الذكر.

وقال **عبد أ. مهنا**: "بثينة بنت المعتمد بن عباد، شاعرة، أمها الرميكية، سبيت بعد سجن أبيها، وبيعت من أحد تجار إشبيلية عل أنها جارية، فوهبها التاجر لابنه، فلما رأت الجد من الأمر، أعلنت اسمها ونسبها، وقالت لود التاجر: "لا أحل لك إلا بعقد يجيزه أبي، وكتبت إلى أبيها كتاباً يستشيره"[[12]](#footnote-12)، وهي القصيدة آنفة الذكر.

أما **عبد الله عفيفي**، فقد تناول القصة هذه بقوله: "....وفي هذا العصر- يعني: القرن الخامس للهجرة-ذاع الشعر النسوي القصصي، فكان مما يألفه النساء أن يبسطن حديثهن شعراً، وقد يكون ذلك في حفل حاشد، أو بين يدي ملك، أو في رسالة إلى أب أو صديق، ومن أمثلة ذلك: رسالة بثينة بنت المعتمد إلى أبيها. وحديث ذلك: أن المعتمد بن عباد بعد أن دفع به القضاء من قصره الأغن[[13]](#footnote-13) في إشبيلية إلى سجن ابن تاشفين[[14]](#footnote-14) في أغمات- من أعمال فاس- سبيت ابنته بثينة فيمن سبي من الجواري، وبيعت من أحد نجار إشبيلية على أنها جارية، فوهبها التاجر ابنه، فلما رأت الجد من الامر، كشفت القناع عن نسبها الملكي، وقالت لولد التاجر: "لا أحل لك إلا بعقد يجيزه أبي"، وأشارت عليهم بتوجيه كتاب من قبلها إلى أبيها، وانتظار جوابه، فكان الذي كتبته: القصيدة المذكورة، فلما بلغته مقالة ابنته، وهو ثاو في غياهب سجنه، مطوق في قيوده واغلاله، أدركه شيء من حسن العزاء لنجاتها، وأشهد على نفسه بعقد زواجها، وكتب اليها يهنئها، ويتسلى بحسن عاقبة الزمان فيها، وكتب آخر رسالته البيت المذكور آنفاً[[15]](#footnote-15).

**الشَّاعرة تقيَّة بنت غيث بن عليِّ الارمنازي**

ذكرها المقري في معرض حديثه عمن ارتحل من علماء الاندلس الى البلاد المشرقية فقال:" ومنهم ابو جعفر احمد بن ابراهيم بن محمد بن احمد المخزومي. من اهل قرطبة، ويعرف ابوه بـ:"كوران"، روى عن ابيه وغيره من مشيخة بلده، ورحل حاجاً فلقي بالاسكندرية أبا الحسن بن المقدسي وسمع منه، وانشد من لفظه بعض اصحاب ابن الابار، قال: أنشدني شرف الدين ابو الحسن علي بن الفضل المقدسي، قال: انشدتني تقية بنت غيث بن علي الارمنازي لنفسها[[16]](#footnote-16):

لا خير في الخمر،على أنَّها مذكــــــــــورة في صِفة الجَنَّـــــــه

لأنَّـــــها إنْ خامـــــــرت عاقــــلاً خامــــــــره فــي عقلــــــه جِـَّنــــــــــة

يخاف أنْ تقذفــــــه من عَلا فــــــلا تقـــــي مهجته جُنَّـــــــــــــة

ولم يسعفنا المقْري فوق هذا الخبر الضئيل وهذه الابيات الثلاثة بشيء وتركنا لا نعرف متى عاشت هذه الشاعرة واين نشأت وعلى من تتلمذت وبمن تأثرت، واي الاغراض الشعرية طرقت؟ ولم يشر الى شيء من طبعها، ولا نبذة من سيرتها، ثم لم يعرفنا بما يدل على انها شاعرة اندلسية ام غير ذلك، فسامحه الله تعالى، ونأمل من الباحثين في حقل تاريخ الادب الاندلسي ان يضعوها وغيرها من شواعر الاندلس اللائي عفا عليهن وعلى تراثهن الادبي الزمن، وان يزيلوا التراب الذي يغطي كنوز الضائع من اشعارهن وثمين اخبارهن.

**الشَّاعرة زينب بنت اسحاق الرَّسعيني**

ذكرها المقري في معرض حديثه عن محمد بن علي الانصاري الشاطبي، قال: "ومن فوائد الرضي الشاطبي... ما ذكره ابو حيان في "البحر" وهو من غريب ما انشدنا الامام اللغوي رضي الدين ابو عبد الله محمد بن علي بن يوسف الانصاري الشاطبي لزينب بنت اسحاق النصراني الرسعيني[[17]](#footnote-17):

عـَــــدي وتيــــم لا أحـــــاول ذكرهم بســـــــــــوء ولكنِّي محب لهاشــــــم

وما يعتريني في علي ورهطه اذا ذكــــــروا في الله لومـــة لائم

يقولون: ما بال النصارى تحبهم واهل النهى من أعرب وأعاـجم

فقلت لهم: اني لأحسب حبهم سرى في قلوب الخلق حتى البهائم

ولم يضف المقري على هذا الخبر المقتضب عن الشاعرة زينب هذه، وشعرها العسلي هذا الذي يملأ القارئ والباحث شوقاً الى المزيد والمزيد ولكن أنى السبيل الى ذلك بعد تقاعس الاولين عن التوثيق، واهمال الاخرين للبحث والتدقيق؟!

وذكرها من المحدثين عبد مهنا بقوله: "زينب بنت اسحاق الرسعيني، شاعرة من شواعر الاندلس ذكرها المقري في "نفح الطيب" ونقل النص آنف الذكر بتمامه، ولم يضف عليه شيئاً.

1. (1) هو عبد الله عفيفي، مؤلف "المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها". [↑](#footnote-ref-1)
2. المصدر السَّابق: 3/148 . [↑](#footnote-ref-2)
3. المصدر السَّابق ، والصفحة نفسها. [↑](#footnote-ref-3)
4. هيض: لسان العرب ، لابن منظور مادَّة : ( هيض ) هاضَ الشيءَ هَيْضاً كسَره وهاضَ العظمَ يَهِيضُه هَيْضاً فإنهاض كسَره بعد الجُبور أَو بعدما كاد يَنْجَبِرُ فهو مَهِيضٌ واهْتاضَه أَيضاً فهو مُهْتاضٌ ومُنْهاضٌ [↑](#footnote-ref-4)
5. عبد مهنا، "معجم النساء الشاعرات"، (ص 6). [↑](#footnote-ref-5)
6. صلاح جرار، قراءات في الشعر الاندلسي : 171 . [↑](#footnote-ref-6)
7. الذخيرة : 1/168 . [↑](#footnote-ref-7)
8. المصدر السابق : 1/270 . [↑](#footnote-ref-8)
9. اغمات، مدينة بالمغرب جنوب مراكش ، نفح الطيب : 1/422 . [↑](#footnote-ref-9)
10. 10 الادب الاندلسي ، مصطفى الشَّكعة : 171 . [↑](#footnote-ref-10)
11. "قراءات في الشعر الاندلسي" (ص172). [↑](#footnote-ref-11)
12. " معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والاسلام" (ص 28). [↑](#footnote-ref-12)
13. الأغن: الأغن من الغزلان أو غيرها: الذي في صوته غنة "لسان العرب" (6/687). [↑](#footnote-ref-13)
14. سجنه ابن تاشفين بسبب رفضه التنازل عن دولته للمرابطين: ابراهيم بيضون، " الدولة العربية في اسبانيا". [↑](#footnote-ref-14)
15. "المرأة العربية في جاهليها وإسلامها" (3/134-135). [↑](#footnote-ref-15)
16. نفح الطيب : 3/358-359 . [↑](#footnote-ref-16)
17. معجم النساء الشاعرات : ص111 . [↑](#footnote-ref-17)